

العنصر السوري ببلاد المغرب القديم

من خلال

نماذج من النقوش اللاتينية

د. بك عبد المومن محمد

جامعة وهران 01

ملخص الموضوع

عرفت أرض بلاد المغرب القديم توافدا بشريا متنوعا صاحب الاحتلال الروماني لهذه المنطقة، ويعتبر العنصر السوري من بين الشعوب التي تواجدت بمقاطعات بلاد المغرب القديم، حيث مارسوا عدة وظائف منها العسكرية، وأنشطة اقتصادية متنوعة خدمة للإمبراطورية الرومانية.

Abstract :

The Ancient Maghreb has known in Roman antiquity a wave of emigrants who accompanied the Roman colonization among them the Syrians, who held several functions. such as their participation in the army, and economic activities for the Roman empire.

كلمات مفتاحية: مغرب قديم - سوري - موريطانيا القيصرية - رومان -

تدلنا النقوش اللاتينية التي وجدت بمختلف مدن بلاد المغرب القديم على مجموعة من السوريين الذين انتشروا بالمنطقة أثناء الاحتلال الروماني، تارة لتدعيم الجيش

الروماني في مواجهته لثورات الموريين، كتلك التي اندلعت بالمقاطعة سنة 145م، أو لحراسة حدودها مثلما سنراه مع فرقة رماة الرماح السورية التي خلفت بقايا أثرية بالمنطقة الفاصلة بين الموريطانيتين القيصرية والطنجية، أو لمزاولة أنشطتهم التجارية. إن الجيش الروماني المساعد بمقاطعة موريطانيا القيصرية لم يكن يشتمل على نسبة ملحوظة من أبناء السكان المحليين، إذ كان يرسل هؤلاء إلى مقاطعات أخرى، تجنباً لما يمكن أن يحدث من مشاعر معادية للوجود الروماني بين الجنود المحليين وبين قومهم الثائرين، وبخاصة في المرحلة المتقدمة من الاحتلال الروماني. وابتداءً من النصف الثاني من القرن الثاني والثالث الميلاديين ارتفعت نسبة المجندين من السكان المحليين في الوحدات المساعدة لجيش موريطانيا القيصرية، خاصة بعد أن مسّت سياسة الرومنة جميع مقاطعاتها¹، لذلك تمّ الاستعانة بالعنصر السوري بالمنطقة.

وقد تضمنت محتويات النصب الجنائزية التي عثر عليها بالمواقع الأثرية الموجودة بهذه المقاطعة على مجموعة من النقوش أشارت لفرق أجنبية تابعة للجيش الروماني. ومن تلك التي تخص موضوع بحثنا المتمثلة في نقوش الفرق السورية التي سأتناول عينات منها ضمن هذا البحث، والسؤال المطروح كيف وصلت هذه الفرق لبلاد المغرب القديم، وبالأخص بمقاطعة موريطانيا القيصرية؟ وما هي المهام التي خولت لها، وما خصوصياتها؟ ويلاحظ اختلاف ظروف تواجد بعض الفرق العسكرية السورية التابعة لجيش الاحتلال الروماني بالمقاطعة، نذكر من بينها فرقة (نوميروس سيروروم)، التي يذكر أنها تكون قد قدمت من مقاطعة (داسيا Dacie)² التي تواجدت بها فرقة سورية لرماة الرماح المعروفة باسم (Numerus Syrorum Sagitariorum)، التي قادها (إيوليوس

إبولتانوس: *S.Iulius.Iulianus*) مع ألف مجند من إقليم (تراسيا *Thrace*) — شمال اليونان — باتجاه إقليم موريطانيا القيصرية ؟ .

وفي جهة أخرى يقدم لنا احتمالين آخرين يفسران سبب تواجد أفرادها بمقاطعة موريطانيا القيصرية: إما أن هذا القائد هو الذي قاد المجندين (بتراسيا *Thrace*) للالتحاق بالوحدة السورية المتواجدة بموريطانيا القيصرية، أو أنه قد التقى بالفرقة السورية بهذه المقاطعة ليقودها فيما بعد لموريطانيا الطنجية ³. والأرجح أن موت هذا القائد بعاصمة المقاطعة (قيصرية: *Caesarea*) - شرشال - ، يعني أن هذه الوحدة قد وجدت بها ، واحتفظت لوقت ما بلقبها (مالوانزيوم *Maluensium*) نسبة لمركزها العسكري الأصلي (مالوا *Malua*)، ليتلاش هذا اللقب ويحتفظ بـ: (نوميروس سيروروم *Numerus Syrorum*) ⁴ .

وقد كشفت النقوش عن تواجد فرق عسكرية ضمت فيلق مشاة السوريين المسلحين بالسهم (*Cohors Syrorum Sagittaria*) ⁵، حيث عثر على نصب جنائزي لهذا الفيلق بعاصمة مقاطعة موريطانيا القيصرية (*Caesarea*) تضمنت نقيشة ⁶ تعود إلى نهاية القرن الأول وبداية الثاني الميلادي ⁷، يذكر فيها اسم مجند يعود لأصول سورية يدعى (ايوليس دابنوس *C.Iulius .Dapnus*) مع زوجته ذات الأصول الإفريقية (سجيتاريا *Sagittaria vartinigig*)، مما يدل على بقاء هذا المجند بمقاطعة موريطانيا القيصرية بعد انتهاء مهامه العسكرية حتى موته بها ⁸ .

وتعتبر وحدة السوريين المسلحين بالسهم (*Numerus syrorum Sagittariorum*) من بين الفرق الأجنبية التي كلفت بأداء مهام عسكرية خارج حدودها، وبالأخص بموريطانيا القيصرية التي كانت ضمن ممتلكات الإمبراطورية الرومانية. وتكررت خلال

القرن الثالث الميلادي بالحدود التي كانت قائمة بين الموريطنيتين، القيصرية والطنجية التي تزامنت مع فترة حكم السيفيريين.

أسس أفرادها مركزا متقدما ومتاخما للحدود مع مقاطعة موريطانيا الطنجية سمي أثناء الاحتلال الروماني باسم (نوميروس سيروروم: *Numerus syrorum*)⁹ وهذه الأخيرة لا تنتمي لا للكثائب، ولا للخيالة ولا للمشاة، وإنما هي فرقا قد تضم الفرسان أو المشاة، أو الاثنين معا، وكانت منذ القرن الثاني دائمة ونظامية¹⁰.

كما احتفظت هذه الفرق بخصوصياتها الوطنية (المحلية)، وخدمت خارج مواطنها الأصلية، وكانت لغة التعامل معها هي اللاتينية، احتفظت بمعتقداتها المحلية، وبطريقة محاربتها¹¹. هذا ودلت نقيشة المعلم الميلي¹² المؤدي لمدينة (سيغا *Siga*)¹³ المؤرخ بتاريخ (217-218م) عن تواجد هذه الفرقة بالمقاطعة.

تمركزت هذه الفرقة السورية (*Numerus Syrorum*) بمركز قيادة الجيش الروماني لمقاطعة موريطانيا القيصرية ونعني بذلك (قيصرية: *Caesarea*)¹⁴، وانتشرت بالمناطق الحساسة، إذ كلفت هذه الوحدات، خاصة فرق (نوميروس *Numerus*) في الكثير من الأحيان بأداء مهامها خارج موطنها، وغالبا ما عسكرت بالمراكز الحدودية كما سلفنا الذكر.

وحمل معسكرها في عهد الإمبراطور الروماني (سبتيموس سيفيروس *Septime Sévère*)، تسمية (نوميروس سيروروم *Numerus syrorum*) مدينة مغنية في الوقت الحاضر نسبة لها¹⁵، وما هي في الأصل سوى معسكرا بلغت مساحته حوالي 1028 هكتارا، ويرجع سبب تأسيسها على نقطة الحدود بين المقاطعتين لغرض مراقبة سهول أنجاد الواقعة بموريطانيا الطنجية¹⁶.

على ضوء التنقيبات الأثرية بعدد من المواقع بموريطانيا القيصرية أمكن الكشف على نقوش تضمن محتواها لأسماء من جنود تابعين لهذه الوحدة أثناء تواجدها بهذه بالمقاطعة يستخلص من هذا الجدول أن وحدة السوريين المسلحين بالسهم تكون قد جندت ضمن صفوفها عناصر أجنبية أخرى غير سورية، خاصة وأن قيادة مثل هذه الفرق تعود لقائد روماني تخول له رتبته، والوضعية القانونية لهذه الفرق بتجنيد الأجانب، مثلما تدل على ذلك بعض أحرف اسم جندي ذو أصول (كورسيكية *Corse*) التي وردت ضمن محتوى النقيشة¹⁷.

بالرغم من أن الجيش الروماني بمقاطعة موريطانيا القيصرية قد تخلص عن العناصر الأجنبية ابتداء من النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، إلا أن سلطات الاحتلال الروماني لم تستغني عن العناصر الشرقية السورية¹⁸، لأنهم كانوا من أحسن رماة للرمح في الجيش الروماني¹⁹.

استفاد (السيفيريون) من هذه الفرق السورية بالمناطق الصحراوية لبلاد المغرب القديم، وذلك من أجل تدعيم خطوط (الليمس *Limes*) من جهة، وتجربتهم في سقي أراضي المناطق الصحراوية من جهة أخرى، خاصة وأن مثل هذه المناطق تكون نادرة التساقط²⁰.

تواجد الفرق العسكرية السورية خارج مقاطعة موريطانيا القيصرية، حيث خلفت البقايا الأثرية نقوشا لفرقة الجمالة السوريون بصحراء بلاد المغرب القديم لحماية جنوب نوميديا، تمر كزوا بمعسكر (لامبايزيس *Lambaesis*) تازولت حاليا، و(كالكوس هار كوليس *Calceus HERCULIS*) القنطرة حاليا، التي كانت بوابة بين نوميديا والمناطق الإستبسية والصحراوية، فأسسوا بهذه الواحة تجمعاً سكانياً ضمّ قداماء محاربهم من

الخيالة رماة الرماح، وتزوجوا بنساء بربريات مشكلين مزيجا حضاريا بين عادات المنطقة البربرية والعادات الشرقية²¹، كما تواجدوا كذلك بـ: (كاستيلوم ديميدي *Castellum Dimmidi*)²² مسعد حاليا.

يستنتج من هذا العرض الوصفي للعنصر السوري ببلاد المغرب القديم، وأخص بذلك مقاطعات موريطانيا، بأنه كان أساس قوة الإمبراطورية في إحدى مقاطعاتها التي كانت تمونها بالثلاثية المتوسطة (القمح- الزيت - الخمر)، فكانت هذه العناصر السورية تسهر على سلامة أراضي الإمبراطورية الرومانية من القبائل المورية الثائرة، وكانت بمثابة حرس الحدود في الوقت الحاضر.

لم يقتصر وجودهم بالوظائف العسكرية، بل تعدى ذلك ليصبح العنصر السوري من بين العناصر الأساسية المتحكمة في اقتصاد المنطقة، وتفيد إحدى النقوش الجنائزية التي وجدت بـ: (فوليبيليس *Volubilis*) واليلي بالمغرب الأقصى، لاسم تاجر سوري يدعى (أوريليوس فيليبوس *Aurelius Philippus*)، وتواجد التجار السوريون بموريطانيا الطنجية وبمقاطعة (بيوتيا *Betique*)، حيث كانوا يراقبون مختلف الأنشطة التجارية التي كانت تتم عبر مضيق هرقل (مضيق جبل طارق)، وذلك ما يفسر تواجدهم كذلك بالموانئ الكبرى المنتشرة على طول سواحل بلاد المغرب القديم كميناء (لبتيس مانيا *Leptis Magna*) لبدة، وروسيكاد (*Rusicade*) سكيكدة²³، وقيصرية (*Caesarea*)²⁴، وكرتيناي (*Cartennae*) تنس، وبالمدن الداخلية مثل (كيرتا *Cirta*) قسنطينة، و(أوزيا *Auzia*) سور الغزلان²⁵.

نستنتج أن الرومان قد أحدثوا ببلاد المغرب القديم تغييرات عسكرية واقتصادية، واجتماعية على مدى قرون عديدة، وبخاصة أثناء القرن الثاني الميلادي الذي عرفت فيه البلاد استصلاح الأراضي، وتوسيع الخريطة الزراعية، خاصة أثناء القرن الرابع الميلادي

الذي أعيد فيه تنظيم اقتصاد الإمبراطورية، وموارد بلاد المغرب القديم ، زيادة لمواجهتها لثورات الموريين خلال القرون الأربعة الأولى، كل ذلك دفع بالرومان الاستعانة بعناصر أجنبية ، فسحت لها المجال لأن ترقى إلى حق المواطنة الرومانية بصفة تدريجية، والعنصر السوري كان من بين هذه الفئة المشكلة للمجتمع الروماني ببلاد المغرب القديم، وساهم وفق ما أملته عليه مصلحة الإمبراطورية الرومانية بالمنطقة.

الهوامش:

01- R.Cagnat, *L' Armée Romaine et L' Occupation militaire de L' Afrique sous les empereurs*, I, Paris, 1912, p307

02- رومانيا الحالية

03- M.Speidel , *Africa and Rome : continuous resistances proceedings of the African classical association* , XIII, 1975, p174

04- N.Benseddik , *op.cit* , p76

05- CIL , VIII Sup ; 21027

06-Wilmanns, G. Mommsen, Th. *Corpus Inscriptionum Latinarum*, VIII, =(CIL VIII) Berlin, 1881 , n°21038

07- CIL, VIII 21027

08- Benseddik, N , *Les Troupes Auxiliaires de L'Armée Romaine en Mauretanie Césarienne sous le Haut empire*, societe national d'edition et de diffusion, Alger, 1979, p128

09-Rebuffat, R. *Notes sur les coufins de la Tangitane et de la M. Césarienne*, studi Maghrebini, IV, 1971, p63.

10- تشكلت من المواطنين الأقل درجة في الرومنة ، منها التي أسسها الإمبراطور الروماني هادريان " Hadrien "، إذ كان جنودها أقل درجة من الفرق المساعدة " Auxiliares ". ينظر :

Benseddik, N , *Les Troupes Auxiliaires*, p68

11- M.P.Speidel , *op.cit*, p203

12- كان يستعمل في تحديد الأبعاد بالأميال بين المواقع.

13- هي عاصمة مملكة الماسيسيل النوميديّة تحت زعامة الملك (سيفاكس "Syphax")، يقابل هذه المملكة اليوم الغرب الجزائري.

14- CIL, VIII 9281, 21017

15- مدينة تقع بالحدود الغربية للجزائر مع المملكة المغربية، اسمها الكامل هو لالة مغنية

16- R. Rebuffat , op.cit, p47

17- Benseddik. N , op.cit, p243... Syrorum ... domo... Corsica

18- Cagnat. R , *L'Armée Romaine et L'Occupation militaire de L'Afrique sous les empereurs* , II Paris, 1912, p308

19- G.L. Cheesman , *The Auxilia of Roman imperial army* , oxford , 1914, p84

20- J.Baradez , *Fossatum Africae* , *Recherches Aériennes sur l'Organisation des couffins sahariens à l'époque romaine* Arts et Métiers Graphiques , Paris, p175

21- Albertini. E , *Les Inscriptions D'El-Kantara* , revue africaine , n°75, 1931, pp193-261

22- J. M. Lassère , *Ubique Populus* , *Peuplement et mouvement de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères 146 a.c.-235p.c.* , CNRS , Paris , 1977, p269

23- J. M. Lassère , op.cit; p402

24- Leveau. Ph, *Caesarea de Maurétanie. une ville romaine et ses campagnes* , collection de l'école française de Rome, Palais Farnèse, Rome, 1984, p170

25- J. M. Lassère , op.cit; p 402